والمغامرات الفردية دون الاهتمام بربح المعركة

٢ — تقدير المرأة واحترامها لأنوثتها واتخاذها وسيلة للتسامي والتمجيد وإن كان لا ينظر إليها كمساوية للرجل

٣ — وجود دافع داخلي في البدوي يدفعه إلى القيام بأعمال البطولة والكرم حتى تكون أعماله هذه أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أكثر الأحيان

٤ — الكرم وحسن الضيافة الحاتميان ويرجع سببهما أولاً إلى عدم الاطمئنان إلى بقاء الممتلكات بصورة مستمرة، وثانياً إلى حب التفوق والمجد اللذين يسعى البدوي إلى تحقيقهما في الحرب أيضاً

ولكي أشرح هذه الصفات الأربع سأستشهد ببعض قصص تصف لنا الفروسية العربية. والقصص التي من هذا النوع أكثر من أن تحصى. وقد أشاد بذكرها الشعراء وامتلأت بأخبارها كتب الأدب وتغنى بها العشاق والمطربون. ولقد كان هذا شأن التروبادور Troubadour في القرون الوسطى في أوروبا، واسمهم هذا مشتق من فعل طرب العربي. وقد كانوا يتجولون في البلاد مثيرين الحماسة برواية قصص الأبطال والأحاديث الغرامية

وسأقتصر على بعض القصص والحكايات كما أني سأذكر تجاربي الخاصة

«يتبع» جميل تبعيني

ظهر حديثاً

هكذا أغني

ديوان الشعر الجديد

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ثمن النسخة الواحدة ١٠ صـ

يطلب من صاحبه ومن جميع المكاتب الشهيرة بالقاهرة

ماضي القرويين وحاضرها

للأستاذ عبدالله كنون الحسني

— ١ —

(جامع القرويين)

كتب الأستاذ علي الطنطاوي في العدد (٢٣٦) من «الرسالة» بمناسبة إظلال العيد الألفي للجامع الأزهر يقترح على أبناء جامع القرويين والزيتونة والنجف أن يتحدثوا لقراء «الرسالة» عن شيء من تاريخ هذه المعاهد وما ساهمت به في خدمة الثقافة الاسلامية وفنون المعارف الأخرى، كما سيتحدث أبناء الأزهر في ذلك العيد القريب عن أزهرهم ويقومون بإحياء ذكراه الخالدة المحفوظة في ضمير الزمان ما بقي من يراعي الجميل من بني الانسان. وذلك لأن كثيراً من الناس يتشوفون إلى معرفة أحوال هذه المعاهد والأطوار التي اجتازتها منذ تأسيسها إلى الآن، وسيلون عطشهم بالنسبة إلى الأزهر؛ أما بالنسبة إليها فسيبقون أعطش مما كانوا، لأن الذكرى تبعث الذكرى. فلا أقل من أن يحظوا بيلالة من العلم في كلمة أو كلمتين عن تلك الجامعات التي غبرت هي والأزهر مدى أجيال تشع على العالم أنوار العلم والمعرفة وتتدرج بالفكر الانساني في مدارج النمو والارتقاء.

وقد استحسنا اقتراح الأستاذ ولبثنا مدة ننتظر من يستجيب له ويتحفنا بالحديث عن أي جامع كان من تلك الجوامع فما ظفرنا

إلا بالخيبة والملل ، وأخيراً تكلم بعض أفاضل النجف عن جامعه وهو ثالث الثلاثة الأحق ببسط الكلام فيه والتوسع في الحديث عنه، ولكن ذلك الفاضل اقتضب القول فيه اقتضاباً ووعد بالتبسط مرة أخرى وإنا لوعده لمنتظرون . وقد حبب إلينا لما بقي الميدان خالياً بل رأينا من الواجب أن نتقدم بكلمات عن جامعنا القروى العامر يتعرف بها الجمهور العربي من قراء « الرسالة » عظمة تاريخ ذلك المعهد وما قام به من خدمات جلى للعلم والمعرفة طوق بها المدنية الغربية في فجر نهضتها بأياد بيضاء :

جامع القرويين

فأولى الميزات التي تبعث على الفخر والازدهار ، وهي مما اختص به هذا الجامع، أن مؤسسه امرأة ، وامرأة من صميم الشعب ، لا ملكة ولا أميرة . وفي هذا ما يكفي لرد ما يتقوله المتقولون على المرأة المسلمة ويصمونها به من الجهل والتأخر عن مجاراة سنن الحياة ؛ إذ ما عهدنا في تاريخ أمة من الأمم وفي العصر الحاضر أن يكون مؤسسو الجامعات العلمية العالمية من النساء . ولكن الاسلام الذي رفع من شأن المرأة وأعلى من قدرها إلى ما لم تبلغه في أية شريعة أخرى سواء كانت سماوية أو وضعية هو الذي سما بنفس السيدة أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري — إلى هذا القصد النبيل وبث فيها الرغبة الملحة إلى بناء جامع القرويين بحالها الحلال الذي ورثته من أبيها وزوجها ، لم تنفق فيه سواء احتياطاً منها وتحرجاً من الشبهة ؛ وذلك عام (٢٤٥) وكانت لم تزل ناشئة منذ شرعت في بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكراً لله تعالى الذي وفقها لذلك العمل المبرور

وهذا التاريخ الذي بني فيه جامع القرويين لا شك أنه أقدم من تاريخ بناء الأزهر الذي كان سنة (٣٥٩) . فقول الأستاذ فريد وجدي في دائرة المعارف : « إنه أقدم مدرسة في العالم بعد مدرسة بولونيا بايطاليا فقد تقدمته بأكثر من أربعة قرون » غير صحيح ، لا بالنسبة للقرويين كما رأيت ، ولا بالنسبة إلى كلية بولونيا المذكورة لأن تأسيسها إنما كان سنة (١١١٩م) أي بعد الأزهر بنحو قرن ونصف . إذ أن مقابل تاريخ بنائه من الميلادي يكون حوالي (٩٧٠) وحينئذ فترتيب هذه الجامعات في القدم يكون هكذا : القرويين فالأزهر فجامعة بولونيا

ومن المعلوم أن القرويين لأول بنائها لم تكن على ما هي عليه اليوم من السعة والفخامة ، فقد زيد فيها كثير ، وجدد بناؤها مراراً، وأولى الزيادات كانت في أيام دولة زناتة سنة (٣٠٧) ، ثم في أيام عبد الرحمن الناصر الأموي خليفة الأندلس الذي دانت له البلاد ردحاً من الزمن . وقع تجديد لبناء القرويين وزيادة أخرى فيه وذلك سنة (٣٤٥) ، ثم كان إصلاح جديد في أيام المنصور ابن أبي عامر حاكم الأندلس وحاجب الخليفة هشام بن الحكم سنة(٣٨٨) . ثم في دولة لمتونة في أيام أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين نقض المسجد كله وزيدت فيه زيادة مهمة من جميع جهاته واحتفل في بنائه وزخرفته إلى النهاية وكمل ذلك سنة (٥٣٨) أي بعد وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف بسنة

ولما ملك الموحدون فاس سنة (٥٤٠) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون النقش والزخرفة التي فوق المحراب لقيامهم بالتقشف والتقلل ، وقيل لهم إن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل غداً المدينة مع أشياخ الموحدين بقصد صلاة الجمعة بالقرويين، فأتى الحاموني الجامع تلك الليلة وغطوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالورق ولبسوا عليه بالجص ودهن بالبياض فاختفى أثر ذلك ولم يبق ظاهراً إلا البياض

ونلاحظ هنا أن فقهاء المدينة وأشياخها إنما خافوا انتقاد الموحدين عليهم لما كانوا هم المباشرين لبناء المسجد وزخرفته ولم يكن ذلك من عمل المرابطين الذين قام عليهم الموحدون ؛ وكذلك كان هذا المسجد منذ تأسيسه من الشعب وإليه . فمعظم هذه الزيادات — إن لم نقل كلها — كانت مما قام به أفراد من الشعب فقهاء وأئمة وغيرهم ، بعد استئذان الحاكم طبعاً . ولشد ما كانوا يتحرون في المال الذي ينفق على ذلك ، بل في الآجر والماء والتراب الذي كان يدخل في البناء فلا يصرفون فيه إلا ما كان من أصل طيب ؛ وربما اشتبه عليهم مال أحدهم فأدى الأيمان الغليظة على أنه من الحلال الخالص الموروث عن آبائه الذين صار

إليهم من عمل شريف إلى غير ذلك مما تراه مفصلاً عند ابن أبي زرع في القرطاس والجزنائي في زهرة الآس وابن القاضي في جذوة الاقتباس

هنا كان قد بلغ الجامع كماله فأتى دور المصالح والمنافع والمرافق الملحقة به من نسقيات وميضآت ومستودعات وخزانات ومقاصير ومدارس وما إليها . وأهم ذلك خزانة الكتب التي أسسها به السلطان أبو عنان فارس المريني وأودعها كما يقول الجزنائي : « من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفي ورجاء ثواب الله الأوفى ، وعين لها قيما لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة . وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعناية وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٥٠ »

(مدرسة العطارين)

وأسس أبو عنان كذلك خزانة مصاحف احتفل في بنائها وتشييدها بما لم يسبق إليه ، وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط وكلف بها من يتولي أمرها على أحسن الشروط . ثم لم تزل الملوك والسوقة تقف الكتب على خزانة القرويين بعد ذلك حتى اجتمع بها من المجلدات العلمية والأدبية والدينية ما لا يدخل تحت حصر ولا يستوفيه عد ولا حساب

وأما المدارس وهي بيوت الطلبة الملحقة بالقرويين ، فان من أقدم ما بني منها مدرسة الصابرين التي أسسها أمير المسلمين ابن تاشفين حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠) . والمرينيون هم سباق هذه الحلبة الذين خلفوا لنا أكبر عدد من المدارس المتقنة الصنع المحكمة الوضع ، لا حول القرويين فقط بل في جميع أنحاء المغرب ولما كان كلامنا هنا إنما يساق إلى القرويين فلنذكر بالخصوص مدرسة العطارين التي بناها السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . ومدرسة أبي عنان اللتين تعدان قطعتين خالدتين من فن العمارة والنقش والتخريم والتزويق المغربي . وقد تلحق بهما مدرسة الشراطين التي بناها مولاي رشيد من ملوك دولتنا العلوية العلية . أما غير هذه المدارس فانها وإن لم تكن مثلها في بداعة الشكل وجمال الصنعة إلا أنها لا تقل عنها فخامة بناء ورحابة فناء

المدرسة البوعنانية

هذه العناية الفائقة بالقرويين والاهتمام البالغ النهاية بأمره من الشعب ثم من الحكومة في كل عصر وفي كل دولة — تدلنا على ما كان له من مكانة سامية في النفوس منذ عهد تأسيسه وما كان يخص به من الاحتفال والاهتمام دون بقية المساجد الأخرى . وإلا فأخوه وشقيقه جامع الأندلس الذي بنته السيدة مريم أخت أم البنين وشقيقتها لم يظفر بعشر مما ظفر به هو من ذلك ، بل إنه ما لبث أن غطى على جامع الأشراف الذي أسسه المولى إدريس ثاني ملوك الدولة الإدريسية ومختط فاس وبانيها سنة (١٩٢) فنقلت خطبة العدوة القروية من مسجد الأشراف المذكور إلى القرويين وأصبح هو المسجد الجامع في تلك العدوة كلها

وابتدأ نجم القرويين يلمع في سماء العلم منذ أواخر القرن

الثالث وأوائل الرابع، وما كاد القرن الرابع يبلغ النصف حتى كان مثل عبدالله بن أبي زيد القيروانى صاحب الرسالة والنوادر والذى يعرف بمالك الصغير يشد الرحلة إلى أحد رجاله وهو دراس بن اسماعيل المتوفى سنة ٣٥٧ هـ وفى هذا العهد كان أيضاً أبو جيدة ابن أحمد وهو فقيه فاس ومحررها من سطوة عامل المنصور بن أبي عامر . ولا شك أنه كان أحد أساطين هذه الكلية وممن عملوا على رفعة شأنها وعلو قدرها

وتتوالى حلقات السلسلة حتى تصل إلى العصر الحاضر مؤلفة من رجال وقفوا حياتهم على خدمة التشريع الاسلامى تحت راية مالك وأصحابه فبلغوا به الغاية التى ما بعدها غاية فى الكمال ، وطارت لهم شهرة مطبقة فى أرجاء العالمين الشرقى والغربى . فما منهم إلا إمام فتوى ومجتهد مذهب مثل الفقيه ابن عمران الفاسى المتوفى سنة ٤٣٠ والفقيه ابن محمد صالح المتوفى سنة ٦٣١ والفقيه راشد الفاسى المتوفى سنة ٦٧٥ والفقيه أبي الحسن الصغير المتوفى سنة ٧١٩ والفقيه أبي عمران المبدوسى المتوفى سنة ٧٧٦ والفقيه القورى المتوفى سنة ٨٧٢ والفقيه المشارك أبي عبد الله بن غازى المتوفى سنة ٩١٧ والفقيه أبي على بن رحال المتوفى سنة ١١٤٠ والفقيه الرهونى المتوفى سنة ١٢٣٠ وغيرهم

وفى الحقيقة أن أكثر الجهود فى الكلية فى كل عصر كانت موجهة إلى هذه الناحية من التعليم، ومعظم إنتاج رجالها كان فى هذا العلم : علم الفقه وما إليه على مذهب مالك رحمه الله حتى ليصح القول إن أهل كل بلاد لم يخدموا مذهبهم بقدر ما خدمه أهل المغرب، وإن المذهب المالكى لم يصل إلى ما وصل إليه من الخصب والنماء والنضوج — حتى أن أتباع غيره من المذاهب ربما اضطروا إلى الأخذ عنه والاقتباس منه كما فى بعض قوانين المحاكم الشرعية بمصر — إلا بفضل المغربين وما أبدوه من الهمة الصادقة فى هذا السبيل (يتبع)

« طنجة » عبد الله كنون الحسنى

- انه افضل كريم لحلاقة الوجه . لأنه يرغي بمعدل ٣٠٠ مثـ
- انه لا ينشف على الوجه بل يجعل الوجه طريا ناعما للحلاقة
- ان فقاقيعه تجعل الشعر ينتصب فتمر عليه الموسى وتحلقه بسهولة
- انه هو الكريم الوحيد المركب من زيت الزيتون وزيت النخيل . لذلك يشعر الانسان بلذة بعد انتهاء الحلاقة